جبهة اخرى في معركة المصير بين شعبنا الفلسطيني والاستيطان الصهيوني . وبطفرتهم هذه ، لحق عرب الجليل باخوانهم في الضفة الغربية ، الذين سبقوهم الى الثورة على الاحتلال والى التصدي العنيف لعملية الاستيلاء على الاراضي العربية وتهويدها . وهم قد فاجأوا العدو الصهيوني والكثيرين من ابناء امتهم ، وربما انفسهم ايضا ، بهذا التحرك الجماهيري الواسع ، بعد ان ساد الاعتقاد بانه تم تدجينهم منذ حين . وبذلك التقى هذا النصف من الشعب الفلسطيني ، الواقع تحت الاحتلال ، سواء منذ ١٩٤٨ او منذ ١٩٦٧ ، مع شقه الثاني في الخارج على طريق الكفاح ضد الاستيطان الصهيوني ، فعمت المواجهة الشعب الفلسطيني باكمله . وبينما يصارع النصف الاول للحفاظ على علاقته بوطنه القومي ، يكافح الثاني لشق طريقه الى ذلك الوطن وتجديد الرابطة معه . وبتلاحم نضاله اثبت الشعب الفلسطيني ، الذي عمل العدو على تشتيته وتذويبه ، وحدته وتماسكه رغم جميع الظروف التي مر بها ، واصراره على التمسك بالعلاقة العضوية التي تشده الى وطنه ، مهما كانت التضحيات .

وبالمقابل فهناك اصرار صهيوني علىوضع اليد اليهودية على كامل ارض فلسطين ، وهذا ما يسمونه بالتهويد ، وهذا يعني اقتلاع الجذور العربية منها ، واضفاء طابع جديد عليها . وهذا الاصرار لا ينبع من الحاجات الانية للاستيطان الصهيوني ، ولا هو بالحقيقة تلبية لضرورات اقتصادية او حتى امنية ، وانما هو ركن من اركان المشروع الصهيوني . ولا يتم تجسيد ذلك المشروع الا بامتلاك القدرة السياسية الكاملة على تقرير العلاقة بين الارض ومن عليها من السكان . ولما كان المشروع الصهيوني ينطلق ، ولو نظريا ، من ان « الشعب اليهودي »، ولو بأكثريته،سيهاجر الى « وطنه الجديد ــ القديم » ، فقد اعتمدت الحركة الصهيونية منذ بدايتها مبدأ وضع اليد اليهودية على الارض باي ثمن ، لتجعل منها وقفا ذريا على ما اسمته بالشعباليهودي ، والذي لا يزال الى يومنا هذا غير محدد الهوية . وهكذا تميز الاستيطان الصهيوني بجشع لابتلاع الارض لا يعرف الشبع ، وانفرد بين اقرانه بكونه اجلائيا لا يعرف الهوادة في هذا الشأن .

والكلام عن هذا الركن في المشروع الصهيوني بمصطلح « سياسة اسرائيل التوسعية» لا يفي بالغرض . فالواقع ان الارض التي وقعت في يد المستوطنين عام ١٩٤٨ لم تضق بهم فعمدوا الى التوسع لحل ازمة سكانية واقتصادية . ومعلوم ان المناطق الريفية هناك لم يتم الاستيطان فيها بشكل مكثف . فالنقب مثلا ، رغم كل الجهود التي بذلت لاعماره واجتذاب المستوطنين اليه ، خاصة ايام بن غوريون ، لا يزال شبه خال من السكان الى الان . وبيوت « كريات اربع » ، في الخليل ، رغم كل ما يثار من ضجة حولها ، ورغم ازمة السكن الخانقة في القدس القريبة ، لا تزال بمعظمها غير مأهولة . وفي الجولان لا يربو عدد المستوطنين عن بضعة الاف،يغلبعليهم الطابع العسكري . وكذا الحال في مستوطنات الضفة الغربية ومشارف رفح الجديدة . وواضح ان السمة الديمغرافية البارزة في الاستيطان الصهيوني هي التمركز في المدن الكبرى ، خاصة في وسط البلاد والمشاكل التي يثيرها المهاجرون الجدد عندما يزج بهم في المناطق الريفية لم تعد خفية على احد . فلماذا اذن هذا التكالب المؤسسي على الاستيلاء على الارض وتهويدها .

في اوروبا القرن التاسع عشر ، قامت الصهيونية وبلورت خطوطها العريضة